

وقال يمدح أبا دُؤنْف القاسم بن عيسى العجلي :

١ على مثلها من أربُعٍ وملاعِبِ

أذيلتْ مَصُوناتُ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ^(١)

الثاني من الطويل ، والقافية مُتَدَارِك .

« أذيلتْ » أى أهينتْ^(٢) .

٢ أَقُولُ لِقُرْحَانٍ مِنَ الْبَيْنِ لَمْ يُصِيفْ

رَسِيسَ الْهُوَى تَحْتَ الْحَشَا^(٣) وَالتَّرَائِبِ

ويُروى « لَمْ يَصِيفْ » . [ع] يُقَالُ رَجُلٌ قُرْحَانٌ إِذَا لَمْ يُصِبه مَرَضٌ

(١) هـ س : « السوارب » .

(٢) لم يرد هذا الشرح في ش وأثبتناه من نسختي ب ، ن .

وجاء في ظ : قال الآمدي : أنكر بعضهم قوله : « مصونات الدموع السواكب » وقال كيف يكون من السواكب ما هو مصون ؟ وإنما أراد أبو تمام أذيلت مصونات الدموع التي هي الآن سواكب ، ولفظه يحتمل ما أراداه ، والبيت جيد لفظاً ومعنى ونظماً .

وقال ابن المستوفى : وجدت في حاشية من نسخ شعره عند قوله : « أذيلت مصونات الدموع السواكب » : « السواكب » : ليست صحيحة في العربية ، إنما هو المسكوبات والمنسكبات ، فأما « السواكب » فالصواب ، وهذا من تخليطاته . فإن احتج محتج فقال « ساكبة » ذات انسكاب ، فإن هذا إنما يقال فيما قيل ولا يقاس عليه ما لم يسمع . قال أبو بكر محمد بن دريد : سكب الدمع وانسكب إذا جعلت الفعل له ، وسكبت العين دمعها ، فعل هذا القول يكون « السواكب » جمع ساكبة من قوطم سكبت العين دمعها ، وقوله فأما « السواكب » فالصواب فجائز أن يحمل قول أبي تمام « السواكب » على أنه أراد الصواب ولا يفسد المعنى ، فإن اسم الفاعل أيضاً من سكبت العين دمعها ساكبة وجمعه سواكب وإن كان بمعنى صواب .

وقال ابن المستوفى عقب هذا : وأظن هذا القول من كلام الآمدي ، فإن عثرت عليه له أو لغيره نسبته فيما بعد . وقد جاء في شعر العرب « السواكب » قال خدّاش بن زهير :

أعني جودي بالدموع السواكب وبكى على قيس خليلي وصاحبي
على مثل قيس تخمش الأرض وجهها وتلقى السماء جلودها بالكواكب

(٣) م ، ل ، س ، ق ، د ، ظ « بين الحشا » - وقال ابن المستوفى : وروى أبو زكريا

« تحت الحشا » والأول أشبه بطريق الطائي .

مِثْلُ الْجُدْرَى وَالْحَصْبَةِ (١) وَمَسْدُ هَبُ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ لَا يُشْتَى وَلَا يُجْمَعُ وَلَا يُؤْنَتُ ،
وَيَسْجَرُ مَسْجَرَى قَوْلِهِمْ رَجُلٌ زَوْرٌ وَفَطْرٌ ، وَقَالَ قَوْمٌ بَلْ يُشْتَى قُرْحَانٌ وَيُجْمَعُ (٢) ،
وَمَنْ رَوَى « لَمْ يُضَيَّفْ » بِالضَّادِ مُعْجَمَةً فَالْمَعْنَى لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلُ الضَّيْفِ ، وَمَنْ
رَوَى « لَمْ يَصَيَّفْ » بِالضَّادِ فَعِنَاهُ أَنَّهُ لَمْ يَسْدَرْ كَيْفَ هُوَ فَيَصَيِّفُهُ * ، وَمِنْ هَذَا
النَّحْوِ قَوْلُهُمْ قَدْ وَصَفَ الْغَلَامُ الْبُلُوغَ ، أَيْ قَدْ بَلَغَ فَقَدَّرَ أَنْ يَصَيَّفَ ذَلِكَ ،
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِمْ وَصَفَ الْبُلُوغَ أَنَّ الرَّائِيَ إِذَا رَأَاهُ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ
بَلَغَ .

وقوله (٣) « لِقُرْحَانٍ مِنَ الْبَيْتِ » أَيْ لِقَوْمٍ لَمْ يَقَاسُوا مِنَ الْبَيْنِ أَى الْفِرَاقِ
مَا قَاسَيْتُ مِنْهُ .

٣ أَعْنَى أَفْرَقَ شَمَلَ دَمَعِي فَإِنَّنِي
أَرَى الشَّمَلَ مِنْهُمْ لَيْسَ بِالْمُتَقَارِبِ
٤ وما صارَ في ذا اليَوْمِ عَدْلَكَ كُلَّهُ
عَدُوِّي حَتَّى صَارَ جَهْلُكَ صَاحِبِي

٤ - ويروى :

وما زالَ يومَ (٤) الدارِ عَدْلَكَ كُلَّهُ عدوِّي حَتَّى صارَ عَدْرُكَ (٥) صاحبي

(١) جاء في ظ : قال الآمدي جعل أبو تمام من لم يعشق ولم يفارق الأحباب قرحاناً على التشبيه
كما قال جرير :

* لو كنت من زفرات الحب قرحاناً *

وفسر الصولي « الرسيس » فقال : ورسيس الهوى ما بطن منه فاندرس كأنه رس ، ورسيس أى دفين ،
وجاء في ظ : وقالوا « رسيس الهوى » أى أوله من رسيس الحمى ورسها أى أولها .

(٢) زادت ظ بعد هذا من كلام أبي العلاء : « ويحتجون بالحديث المروى عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وأراد أن يدخل الشام وهي تستعمر طاعوناً فقبل له إن أصحاب محمد قرحانون لم يصبهم جدري
ولا طاعون » . قال ابن المستوفى : الأكثرون مجمعون على إفراد « قرحان » ثنائية وجمعاً وتأنيثاً ، قال
الجوهري - وذكر حديث عمر رضي الله عنه - : هي لغة مبروكة فجاء أبو زكريا بما يخالف الفريقين .
(٣) من هنا لآخر الشرح لم يرد في نسخة ش وأثبتناه من نسختي ب ، ن .

(٤) وهي رواية ق ، د ، ظ - وكذلك هي الرواية عند الآمدي . وجاء في ظ : قال الصولي :

ويروى « فما صار يوم الدار » وهو الاختيار .

(٥) هي رواية ق . وقال الصولي : ويروى « حتى صار حلمك صاحبي » وكله سواء .

(المرزوقي) : يقول : ما أفرطت في تأنيبك لي وعتبتك عليّ حتى سؤتتني به فتصورته عدواً إلا وعلمي بأنك لا تعرف حالي ولا تعرف حقيقة ما بي يعذرك عندي ، إذ لو لم تكن تجهل ذلك لم تكن تستحسن المبالغة في لومي بل لا تستجيز شيئاً منه (١) .

٥ وما بك إركابى من الرشدِ مركباً

ألا إنما حاولت رُشدَ الرّكائبِ

(المرزوقي) : يخاطب لائمه في الوقوف على الدار يقول : ليس بك فيما تتكلفه من لومي هدايتي وصرفني عن غيبي إلى رشادي ، وإنما شقّ عليك وقوف الإبل بأحمالها ، فحملك الإشفاق عليها والجد في المنع من حبسها على الإسراف في العتب وتغليظ القول ، فأما أن يكون بك صلاحي فلا . ورد قول من أنكر عليه « إركابى » وقال : إنما يُقال حمّله على الفرس وأركبته ، وأن الرّشاد لا يُستعمل في البهائم كما أن ضده وهو الغي لا يُستعمل فيها .

٦ فكلّني إلى شوقى وسرّ يسرّ الهوى

إلى حرقاتي بالدموع السّواربِ

« السّوارب » السؤال ، يقال سرّب الماء على وجه الأرض إذا سال ، ومنه سرّب المال في الرعى إذا انبسط ، يقول : فدعنى وشوقى وسرّ أنت حتى يسير الهوى إلى قلبي فيلججه .

(١) قال الصولي : سألت أبا مالك عن هذا المعنى ؟ فقال : مثل هذا في الشعر كثير ، وكانه

من قول بشار :

هجرت محلى لشغلي بهم ولو قد عشقت لصاحبتى

وقد ردد هذا المعنى في شعره كثيراً . وقال الأمدى في ظ : أى لما لم تساعدني على الوقوف فأصخت إلى المسير معك صار جهلك صاحبي لأننا اصطحبنا ضرورة ، وقيل أراد حتى صار جهلك بالهوى صاحبي أى نافعى لأنك منعتني من الوقوف على الدار فصار ذلك نافعى لأنه عاد بمصلحة على ركائبي ، إذ لم أعفها بالتمريج على الدار والوقوف والتردد فيها ، يدل عليه قوله « وما بك إركابى » البيت . أى ما استفرغت ذلك وانتهيت فيه حتى انطلقت معك فصار جهلك صاحبي ، وإنما أراد حتى اصطحبنا على جهلك بحالي وأذك غير مجانسي ولا على سببى وطباعي في الهوى وتجربته .

٧ أَمِيدَانِ لَهْوِي مَنْ أَتَاكَ لَكَ الْبَلِي^(١)
فَأَصْبَحْتَ مِيدَانَ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ!؟

٨ أَصَابَتْكَ أَبْكَارُ الْخُطُوبِ فَشَتَّتَتْ
هَوَايَ^(٢) بِأَبْكَارِ الطَّبَائِ الْكَوَاعِبِ

٨ - « أَبْكَارُ الْخُطُوبِ » التي لم يُصَبَّ بها أحدٌ قبله^(٣).

٩ وَرَكْبٍ يُسَاقُونَ الرِّكَّابَ زُجَاجَةً
مِنَ السَّيْرِ لَمْ تَقْصِدْ لَهَا كَفَّ قَاطِبِ

٩ - [ص] أي يُسكرون المطى بالتعب فكانتهم سقوها زجاجةً ،
أي شراباً في زجاجة ، « وقاطب » أي مازج ، أي ليست هي على الحقيقة زجاجةً
فيها شرابٌ يُنَاولها السَّاقِ صاحبه بقصد^(٤).

١٠ فَقَدْ أَكَلُوا مِنْهَا الْغَوَارِبَ بِالسُّرَى
فصارت لها أشباحهم كالغواربِ

« الأشباح » جمع شَبَّحَ وشَبَّحَ ، وكان الشَّبَّحَ الشخصُ إذا رُئِيَ مِنْ
بعيد . يقول : أتعبوها حتى ذابت أسنمتها ، وصاروا لها كالأسنمة فوقها .
ويروى « فصارت لهم أشباحها كالغواربِ » (ق) والمعنى : أنهم قد فرغوا من
إفناء أسنمتها إذ كان الفناء عند جهدها إليها أسرع من بين جميع أعضائها ،

(١) م ، ل : « الردي » - س : « الهوى » وهامشها : ويروى « البلي » و « الردي »
و « النوى » . وفي ظ : ويروى « من أفاخ بك الردي » ترده إلى الدار وهو الأجود .

(٢) م ، ل : « هواك » وروتها ظ - س « نواك » وهي رواية الحارزنجي .

(٣) وقال الصولي : أصابتك خطوب لم يصبك مثلها فهي أبكار . وفي ظ قال الحارزنجي :
« أبكار الخطوب » مباديها وسوايقها .

(٤) قال الآملي في ظ : أي سيراً لا يلين ولا يفتر لا كما تمزج الراح بالماء وتلين .

وصاروا يؤثرون في شُخُوصِها ، فهي لهم الساعةَ بَدَلٌ من الغَوَارِبِ
مِن قَبْلِ .

١١ يُصَرِّفُ مَسْرَاهَا جُدَيْلُ مَشَارِقِ إِذَا آبَهُ هَمُّ عُدَيْقُ مَغَارِبِ

(ق) ويروى : «يقود نواصبيهم جُدَيْلُ مَشَارِقِ» (١) وقوله : «يقود نواصبيهم»
أى قائد هؤلاء الركب رجلٌ مسفارٌ احتكَّتْ به البلدان ، فَجَرَّبَ وتَبَصَّرَ كما
تحتك الإبلُ بالجُدَيْلِ وهو تصغيرُ الجِدَلِ ، وهو خشبٌ تحتك به الإبلُ
الجربى فتشتقى به ، و «العُدَيْقُ» تصغيرُ عَدَقٍ ، وأصلُ المَثَلِ أن يقول
العالمُ بالشيء : أنا جَدَيْلُهَا المُحَكِّكُ وَعُدَيْقُهَا المَرْجَبُ (٢) فأما التَّرجيبُ
فأن يبني تحت النخلة دُكَّانٌ لثلاثِ تَمِيلٍ وذلك إذا كانت كريمة . والمعنى
أن رئيسهم إذا حَزَبَهُ أمرٌ رجلٌ عالمٌ يشتقى بما عنده من الرأى والمعرفة بالسفر .
ويجوز أن يكون شَبَّهَ قائدهم لتأثير السفر فيه وتغييره من لونه وجسمه بالجُدَيْلِ ،
لأنه يَسْوَدُ إذا احتكَّتْ به الإبلُ الجربى للطلاء الذى عليها ، وبالْعُدَيْقِ
فى دِقَّتِهِ ونَحَافَتِهِ .

١٢ يَرَى بِالكَعَابِ الرُّودِ (٣) طَلْعَةَ نَائِرِ وبالعَرْمِيسِ الوَجْنَاءِ غُرَّةَ آيِبِ

[ص] يقول : هذا الرجلُ من حُبِّهِ للسَّفَرِ فى طَلَبِ العُلَى إذا رأى
الكاعِبَ الحَسَناءَ فكأنما يَرَى طَلْعَةَ نَائِرِ قد جاء لِيَنَارَ منه ، لِيُبْغِضَهُ للكاعِبِ
وَحُبِّهِ للسَّفَرِ ، إلى أن يَبْلُغَ مُرَادَهُ وَيَنَالَ حَاجَتَهُ . ويرى بالعَرْمِيسِ - وهى

(١) وهى رواية ق ، س ، د ، ظ - وروى الحارزنجى فى ظ : «يسوق نواصبيهم» وقال
الصول : ويروى «يقود نواصبيها» .

(٢) مجمع الأمثال ١ : ٣١ .

(٣) «الرود» : اللينة الناعمة .

النَّاقَةُ الصُّلْبَةُ - مِنْ حُبِّهِ لَهَا طَلْعَةٌ قَادِمٌ عَلَيْهِ ، حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى أَبِي دُلْفٍ
هَذَا الْمَمْدُوحِ الَّذِي يَسْجَى ذِكْرُهُ .

١٣ كَأَنَّ بِهِ ضِعْنًا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ
مِنَ الْأَرْضِ أَوْ شَوْقًا إِلَى كُلِّ جَانِبٍ

[ص] يقول : مِنْ حُبِّهِ لِلسَّفَرِ وَالذَّهَابِ فِي الْبِلَادِ كَأَنَّهُ ضَعِنٌ عَلَى
الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ بِهِ حَتَّى يَتَرَكَهُ ، أَوْ كَأَنَّهُ مُشْتَاقٌ إِلَى الْجَانِبِ الَّذِي لَمْ يَمُضِ بَعْدُ
إِلَيْهِ حَتَّى يَبْلُغَهُ .

١٤ إِذَا الْعَيْسُ لَاقَتْ^(١) بِي أَبِي دُلْفٍ فَقَدَ

تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ

١٥ هُنَالِكَ تَلَقَى^(٢) الْجُودَ حَيْثُ تَقَطَّعَتْ

تَمَائِمُهُ وَالْمَجْدَ مُرْخَى النَّوَائِبِ

١٥ - « حَيْثُ تَقَطَّعَتْ تَمَائِمُهُ » الْمَوْضِعُ الَّذِي نَشَأَ فِيهِ . [ص] يَقُولُ^(٣) : تَلَقَى
الْجُودَ قَدْ أَحَبَّ هَذَا الْمَوْضِعَ وَرُبِّي فِيهِ فَمَا يُحِبُّ أَنْ يَفَارِقَهُ ، وَإِنَّمَا نَحَا قَوْلَ الْأَسَدِيِّ :
أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَسْنَعِجٍ إِلَى وَسَلْمَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا
بِلَادٌ بِهَا حَلٌّ الشَّبَابُ تَمَائِمِي وَأَوَّلُ أَرْضِ مَسَّ جِلْدِي تَرَابُهَا
وَيُرْوَى « وَافِي النَّوَائِبِ » أَيْ يَلْقَى الْمَجْدَ كَثِيرًا ، وَهَذَا مِثْلُ ، أَيْ مَجْدُهُ وَشَرْفُهُ
مَعَ هَذَا الْجُودِ جَلِيلٍ كَثِيرٍ أَيْضًا ، فَهَذَا تَفْسِيرُ « وَافِي النَّوَائِبِ » . وَمَنْ رَوَى
« مُرْخَى النَّوَائِبِ » أَرَادَ أَنَّ الْمَجْدَ كَالْأَمْنِ فِيهِمْ مِنْ أَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ ،
وَيَكُونُ أَيْضًا قَدْ أَحَاطَ بِهِ الشَّرْفُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ .

(١) ظ : « وَافَتْ بِي »

(٢) س : « يَلْقَى الْجُودَ فِي حَيْثُ قَطَّعَتْ » . وَرَوَاهَا ظ .

(٣) مِنْ أَوَّلِ كَلَامِ الصُّوَلِيِّ إِلَى آخِرِ شَرْحِ الْبَيْتِ لَمْ يَرِدْ فِي ش ، وَأَثْبَتْنَاهُ مِنْ نَسَخَتِي ب ، ن .

١٦ تكادُ عطاياهُ يُجَنُّ جُنُونُهَا إِذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِنِعْمَةٍ (١) طَالِبٍ

ويروى: «تَنَعَّمُ طَالِبٌ» يجعل التَّعْوِيدَ للتَّنَعُّمِ لا لِرَبِّ العَطَايَا .
[ع] و «جُنَّ جُنُونُهَا» مَثَلٌ وَضِعَ للمبالغة ، يُقَالُ جُنَّ جُنُونُهَا وَجَنَعَ
جُوعُهَا ، والجُنُونُ في الحقيقة لا يُجَنُّ ، وكذلك الجُوعُ لا يَسْجُوعُ ، ولكنهم
يُريدون به الشَّدَّةَ والإفراطَ * [ص] . يقول: إنَّ عطاياه متى تَأَخَّرَتْ عن
السُّؤال فَسَدَّ عَقْلُهَا حتى تَسْمَعُ صوتَ مَنْ يَسْجِيءُ طَالِبًا أو رَاغِبًا ، فيكون ذلك
الصوتُ كالعوذَةِ لهذه العَطَايَا (٢) .

١٧ إِذَا حَرَكْتَهُ (٣) هِزَّةً المَجْدِ غَيْرَتِ

عَطَايَاهُ أَسْمَاءُ الأَمَانِي الكَوَاذِبِ

يريد أنه يُصدِّق الأمانِي والأمالَ ويُحَقِّقُهَا فيقال فَازَ ، وَسَعَدَ ، وَحَظِيَ ،
بِذَلِكَ قَوْلِهِمْ حُرْمَ ، وَكَتَدَبَ أَمْلُهُ ، وَخَابَ رِجَاؤُهُ ، فهذا تَغْيِيرُ أَسْمَاءِ الأَمَانِي
الكَوَاذِبِ (٤) .

١٨ تَكَادُ مَغَانِيهِ تَهَشُّ عِرَاصُهَا

فَتَرَكِبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبٍ

«العِرَاصُ» جمع عَرَصَةٍ ، وهي سَاحَةُ الدَّارِ ، واستعار لها الهَشَّاشَةَ

(١) قال الصولي : ويروى « بنعمة طالب » وهو تصحيف .

(٢) جاء في ظ ؛ وهذا البيت مما عابه عليه أبو العباس عبد الله بن المعتز فقال : ولم يجن جنونها
انتظاراً للطلب ؟ يبتدئ بالجوود ويستريح !

(٣) س ، ق : « أخذته »

(٤) قال المرزوق في كتابه : ومثله قول أبي تمام في أخرى :

أترى أبا الإحسان يحسن بيننا وملقب الأيام من يذنب ؟ !

فقوله « ملقب الأيام » مثل قوله « غيرت عطاياه أسماء الأمانى » . وفي ظ قال الأمدى : الأمانى
هى الأكاذيب ، أى أعطى أصحاب الأمانى ما كانوا يتمنونه من الأباطيل فصارت حقائق وزال عنها
اسم الأمانى

التي هي البشر والأريحية . [ص] يقول (١) : من شهوته لإعطاء المال وبذله تكاد عراضُ متغايه تَسِير إلى مَنْ يسير إليها طالباً نَيْلَه .

١٩ إذا ما غداً أغدى كريمةً ماله

هدياً ولو زفتْ للأُمِ خاطِبِ

يقال غداً الشيء ، وأغداه غيره ، جائز على القياس وهو مفقود في المسموع . و « الهدى » العروس ، وهذه مبالغة في المدح ، يريد أنه إذا جاءه الرجلُ الدنيء لم تمنعه دناءته أن يعطيه من خير ماله .

٢٠ يرى أقبح الأشياء أوبة آيب (٢)

كسته يد المأمول حلة خائب

٢١ وأحسن من نورٍ تفتحه الصبا (٣)

بياض العطايا في سواد المطالب

٢٢ إذا ألجمت يوماً لُجيمٌ وحولها

بنو الحِصنِ نجلُ المُحصناتِ النَّجائبِ

٢٢ - يعنى لُجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، وهم قوم

(١) من قوله : « يقول من شهوته . . . » إلى آخر الشرح لم يرد في نسخة ش وأثبتناه من نسختي

ب ، ن . (٢) س ، د : « آمل » .

(٣) س : « الندى » وهي رواية الخارزنجي كما في ظ . وقال في شرحه : يقول أحسن من نور بيوره الشجر والنبات تفتحه أكف الندى بياض العطايا أي سرورها وضيائها في سواد المطالب ، لأنها مظلمة حتى يبين لطالها نجمة أو خبيته .

وقال ابن المستوفى : قال الآمدي : قوله « بياض العطايا في سواد المطالب » ليس من معانيه ، وإنما نقله من قول الأخطل :

رأين بياضاً في سواد كأنه بياض العطايا في سواد المطالب

ذكره ابن أبي طاهر في سرقاته ، إلا أن قول أبي تمام : « وأحسن من نور يفتحه الندى » في غاية الخلوة . هذا كلام الآمدي . وروى : « وأحسن من روض » - وقال ابن المستوفى عقبه : ولم أجد ما نسبوه إلى الأخطل في ديوانه ولا يشبه نمطه لرقته ، ولعله موضوع ليدفع أبو تمام عن حماسته .

أبي دلف العجلى ، لأنه من عجل بن عجل بن لجم . و « نَجَلُ الْمُحَصَّنَاتِ » ولدها .

٢٣ فَإِنَّ الْمَنَايَا وَالصَّوَارِمَ وَالقَنَا
أَقَارِبُهُمْ^(١) فِي الرَّوْعِ دُونَ الْأَقَارِبِ

٢٤ جَحَافِلُ لَا يَتَرُكْنَ ذَا جَبَرِيَّةٍ
سَلِيمًا وَلَا يَحْرُبْنَ مَنْ لَمْ يُحَارِبِ

٢٤ - « الجَبَرِيَّةُ » الكَبِيرُ ، وهو اسمٌ موضوعٌ على النسب ، ولم يقولوا فيه جَبَرٌ أَى كَبَرٌ .

٢٥ يَمْدُونُ مِنْ أَيْدِ عَوَاصٍ^(٢) عَوَاصِمِ
تَصُولُ^(٣) بِأَسْيَافِ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ

(ع) هذا كلامٌ فيه حذفٌ على رأى سيبويه ، وهو مفعولٌ يَحْتَمِلُ أَنْ يُصْرَفَهُ السَّامِعُ عَلَى مَا يُرِيدُ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ يَمْدُونُ سَوَاعِدَ أَوْ بَسْطَةَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ مَسْعُودَةَ يَرَى أَنَّ « مِنْ » فِي هَذَا زَائِدَةٌ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ غَضَضْتُ مِنْ فُلَانٍ أَى غَضَضْتُ شَيْئًا مِنْ حُقُوقِهِ ، فَأَمَّا قَوْلُ جَرِيرٍ :

رَأَتْ مَرَّ السَّنِينَ أَخَذْنَ مِنْنِي كَمَا أَخَذَ السَّرَارُ مِنَ الْهَيْلَالِ^(٤)

فَإِذَا حُمِلَ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ تَمَّ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ فَهُوَ مِثْلُ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَإِنْ كَانَ « أَخَذْنَ » وَقَعًا عَلَى « كَمَا » فَلَيْسَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ حَذْفٌ . وَقَوْلُهُ : « عَوَاصٍ » يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : أَجْرُهُمَا أَنْ يَكُونَ جَمْعَ عَاصِيَةٍ مِنْ عَصِيَّتِهِ

(١) ل : « أقاربكم » . وقال ابن المستوفى : وروى الصولى « أقاربهم » على ضمير الغيبة . . . وروى الخارزنجى أو غيره : « أقاربكم » على ضمير الخطاب .

(٢) د : « طول » .

(٣) س « تسور بأسنان » وبهامشها « تطول » .

(٤) الديوان ص : ٤٢٦ .

بالسيف إذا ضربته به ، والآخر أن يكون من العَصِيان ، أى أنها لا تطيع أمر الملوك ولا الأعداء إذ ليس فوقها يدٌ . و « عَوَاصِم » جمع عاصمة ، أى يعتصم من استجار بها . وقوله « عَوَاصِمِ عَوَاصِمِ » يُسَمِّيه أهل النقد تجنيس المُتَقَارِبَةِ ، لأن اللفظين مُتَقَارِبَانِ ليس بينهما فرق إلاّ في الميم ، وكذلك قوله : « قَوَاضٍ قَوَاضِبِ » والقَوَاضِي التي تَقْضِي على الأعداء بما تُرِيدُ ، وقد يُسْتَعْمَلُ قَضَيْتُ في معنى قَطَعْتُ ، ويقال قَضَى عليه إذا كان سبب موته أو قَتَلَهُ . ويجوز أن يكون قوله : « بِسُودُونَ » مِن مَدَّ النَّهْرُ وَمَدَّه نَهْرٌ آخِرٌ ، وهذا المعنى اللطيفُ وأحسنُ مِنَ الْأَوَّلِ (١) ، أى يمدّون أيدياً تعصى العاذلين في الجود ، وتَعَصِمُ المُسْتَعِيثَ الخائفَ بأسيافِ هذه صفتها .

٢٦ إذا الخيلُ جابتُ قسطلَ الحربِ صدعوا

صدُورَ العوَالِي في صدُورِ الكَتَائِبِ

يقول : إذا شَقَّتْ الخيلُ غُبارَ الحربِ فإنهم يَطْعَنُونَ الأبطالَ بالرماحِ حتى يَكْسِرُوها في صدورهم .

٢٧ إذا افتخرت يوماً تميمٌ بقوسِها

وزادتُ (٢) على ما وطّدت من مناقب

(١) لابن المستوفى تمقيب على كلام أبي العلاء هذا ، قال : في كلام أبي العلاء على بيت جرير نظر يحتاج إلى بحث . وقوله : « فإذا حمل على أن الكلام تم في النصف الأول فهو مثل ما تقدم ذكره ، وإن كان واقماً على كما فليس في النصف الأول حنف » ، وهذا إذا تأمله الناظر لا يؤدي إلى تحقيق ، فإن قوله : « منى » يحتمل أن تكون « من » فيه مثلها في الهلال .

وقوله : « من عصيته بالسيف أى ضربته » إنما هو من عصوته بالعصا أى ضربته بها ، ولم أجد عصيته بالسيف ، إنما قالوا عصى بالسيف يعصى عصى إذا ضرب به ، فلو أخذ من ذلك كان أولى ، وأخذ من العصيان على ما ذكره أجود من هذا التكلف البعيد ، وهذا التجنيس يسميه أصحاب البديع الناقص ، وهو ضرب من المضارعة ، وعليه أنشد بيت أبي تمام هذا .

وقال ابن المستوفى بعد ذلك : وروى الخارزنجي : « عَوَاصِمِ عَوَاصِمِ » . قال وفي الحاشية : « يمدون من أيد طوال غواصب » أى تغصب الأرواح .

وقال الصولي في شرحه : « ويروى « من أيد طوال » إلا أن أبا تمام قابل اللفظ فقال : « عَوَاصِمِ » ثم قال : « قَوَاضِ » فهذا أحب إلى من « طوال » .

(٢) ظ : « ويروى « فخاراً » ، وهي رواية د .

٢٨ فَأَنْتُمْ بِيَدِي قَارِ أَمَأَلْتُمْ سِيُوفُكُمْ
عُرُوشَ الَّذِينَ اسْتَرَهَنُوا قَوْسَ حَاجِبٍ

٢٧ و ٢٨ - يعنى بـ «العروش» الأسرة ، ويمدح أبا دُلفَ بأنه من بنى عجل ، وأنهم كانوا في يوم ذى قار مع بنى شيبان ، ويروون أن العرب كانت تزعم أن الفرس لا تموت ، وأن حنظلة العجلي حمل على رجلٍ منهم فطعنه فقتله فقال لأصحابه : ويلكم إنهم يموتون ! فحملوا عليهم فكان سبب ظفرهم ، وهذا الحديث إذا حمل على ما يوجب المعقول فهو كقولهم فلان لا يموت من العمل أى يصبر عليه ، فأما اندفاع الموت عن الإنسان فلا يجوز أن يدعى له . وقوله : « إنهم يموتون » إنما هو حصص على قتالهم ، لا أنه يزعم أن الموت كان عنده لا يتزل بهم ، ومثله رجز يروى عن عمرو بن معدى كتر في قتال الفرس :

أنا أبو ثور وسيني ذو النون
أضربهم ضرب غلام مسجون
يال زبيد إنهم يموتون !

أى هم مثلكم فلا تسجنوا عنهم . وحاجب بن زرارة بن عدس بن زيد ابن عبد الله بن دارم كان قد تدبر هو وأهله في أرض العراق فأنكر ذلك والى الحيرة وكتب إلى كسرى ، فكتب كسرى إليه يقول : إن أرادوا أن يرعوا بأرضنا فليقدم علينا وفدهم ، ويعطونا رهائن منهم ، فقدم عليه حاجب بن زرارة ، فلما وافقه على ما يريد طلب منه الرهائن ، فقال حاجب : ليس معي إلا قوسى هذه فخذها ، فضحك منه أصحاب كسرى ، فقال لهم الملك : خذوها منه فإنه لن يسلمها ، فاسترهنوا منه القوس ، وذهب فوفى لهم بما وافقهم عليه ، فصار ذلك معدوداً في مناقب بنى تميم . (المرزوقى) : كان السبب في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان دعا على مضر وقال : اللهم اشد وطأتك على مضر ، وابتعث عليهم سنين كسنى يوسف . فتوالت الجدوب عليهم سبع سنين ، فلما رأى حاجب الجهد على قومه جمع بنى زرارة وقال :

إني أزمعتُ أن آتي المَلِكَ فأطلبَ أن يأذنَ لِقَمَوْنَا فيكونوا تحتَ هذا البحرِ حتى يَحميَونا : فقال ارشِدتَ فافعل ، غيرَ أَنَا نخافُ عليك بِسَكْرَ بنِ وائل . فقال : ما وَجَهٌ منهم إلاّ ولى عنده يَد ، إلاّ ابنَ الطَوِيلَةَ التَّيْمِيّ ، وسأُداويه . ثم ارتحلَ ، فلم يَزَلْ يَسْتَقِلُّ في الإتحافِ والبِرِّ في الناسِ حتى انتهى إلى الماءِ الذي عليه ابنُ الطويلةِ ، فنزلَ ليلاً ، فلما أضاء الفَجْرُ دَعَا بِنَطْعِ ، ثم أمرَ فصَبَّ عليه التَّمْرُ ، ثم نادى حَتَّى على الغَدَاءِ ! فنظَرَ ابنُ الطويلةِ فإذا هو بِحَاجِبِ ، فقال لأهلِ المجلسِ : أُجيبُوه ! وأهدى إليه جُزُرًا . ثم ارتحلَ ، فلما بَلَغَ كِسْرَى كان منه ما ذُكِرَ ، ثم جاءت مُضَرٌ بعد موتِ حاجبِ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فدَعَا لهم ، فخرج أصحابُه إلى بلادهم ، وارتحلَ عَطَّارِدُ ابنِ حاجبِ إلى كِسْرَى يَطْلُبُ قَوْسَ أبيه ، فقال : ما أنتَ بالذي وضَعْتَهَا . فقال له أَجَلٌ إنه هلكَ وأنا ابنُه ، وقد وَفَى للملكِ ! قال : رُدِّوا عليه ، وكَسَّاه حِلَّةً . فلما وَفَدَ على النبيّ صلى الله عليه وسلم أهداها إليه فلم يقبلها ، فبَاعَهَا مِن يَهُودِيٍّ بأربعةِ آلافِ درهمٍ . فيقول أبو تمام : إذا افتخرتَ تَمِيمٌ بذلكِ فأنتم قتلتم الذين كَسَّوهم هذا المجدَ بما ارتهنوا ، وهدمتم عِزَّهُم في وقعةِ ذِي قار^(١) .

٢٩ مَحَاسِنُ مِن مَّجْدٍ مَتَى تَقْرُؤُوا بِهَا
مَحَاسِنَ أَقْوَامٍ تَكُنُّ كَالْمَعَايِبِ

(١) وقال الصولي : يريد أخذ العرب للطيمة كسرى وانتصافهم من المعجم ، وكان رئيس العرب ذلك اليوم سيار بن حنظلة العجلي ، وأبو دلف عجل ، فخاطبه بهذا . ويقال إن يوم ذى قار كان كيوم بدر ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « هذا أول يوم انتصفت العرب من المعجم فيه ، وفي نصرنا » .

وجاء في ظ : وقيل إنه (أى حاجب بن زرارة) إنما رهن قوسه عند كسرى لما قبل هذا أن يبلغ لطاقمه إلى سوق عكاظ ، فارتهن كسرى قوسه حتى أتى بالعرير سالمة إلى كسرى ، فقال كسرى : لا أدري أينما أحسن ، أنا حيث رضيت من حاجب بقوس لا يساوي عشرة دراهم ، أم حاجب حيث أجاز لي صيراً قيمتها كذا وكذا ؟ ثم أمر بتاج فصنع له منظمًا بالجواهر فوضعه على رأسه .

٣٠ مَكَارِمُ لَجَّتْ^(١) فِي عُلُوِّ كَانَهَا^(٢)
تُحَاوِلُ ثَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ

٣١ وَقَدْ عَلِمَ الْأَفْشِينُ وَهُوَ الَّذِي بِهِ
يُصَانُ رِذَاءُ الْمَلِكِ عَنِ كُلِّ جَادِبٍ^(٣)

٣١- [ع] كان الأفشينُ عبداً للمعتمد ، فاصطنعته ورفَّع شأنه ثم قتله بعد ذلك ، وهذا الشعر قيل في زمان دولة الأفشين وإقباله ، وكان الأفشين من أهل أشروسنة ، فسماه المعتمد الأفشين ، لأن ملك ذلك البلد جرت عادته بأن يُسمَّى الأفشين كما يُسمَّى ملك الروم قيصر ، وكذلك زعموا أن الأخشيدي كان أوله من فرغانة فلُقِّب الأخشيدي ، لأن ملك فرغانة يُلقَّب بذلك .

٣٢ بِأَنَّكَ لَمَّا اسْحَنْكَكَ^(٤) الْأَمْرُ وَاكْتَسَى

أَهَابِيَّ تَسْفِي فِي وُجُوهِ التَّجَارِبِ

[ع] « اسجنكك الأمر » اسودَّ وأظلم ، أصل هذه الكلمة في الليل ، ووزن « اسحنكك » « افعنكل » واشتقاقه من سين وحاء وكاف ، وذلك لفظ مُماتٌ لم يحك أحدٌ من الثقات فيما أعلم « السحكك » في معنى السواد . [ع] « وأهابي » جمع إهباء ، وهو الغبار ، ، مثل إعصار وأعاصير ، وقوله :

(١) س ، د : « معال تمادت في العلو » وبها مشها : ويروى : « معال تعالت » .

(٢) م ، ل : « كأنما » .

(٣) قال الصولي : ويروى « من كل جادب » أي عائب ، وهو تصحيف .

وجاء في ظ : وقول ابن المعتز كأنه من هذا :

وفن وثنا ثياب النبي فلم تجذبون بأهدابها ؟

لكم نسب يا بني بنته ولكن بنو العم أولى بها

(٤) ل : « لما استخذل الأمر » وفي م « لما استخذل النصر » وقال الصولي : ويروى :

« اسحنكك » .

« تَسْنَى فِي وَجْهِهِ التَّجَارِبَ » أَي لَا تَسْفَعُ مَعَهَا التَّجْرِبَةُ ، فَكَأَنَّهَا تَمَلَأُ عَيْنَيْهَا بِالغُبَارِ .

٣٣ تَجَلَّلَتْهُ^(١) بِالرَّأْيِ حَتَّى أَرَيْتَهُ

بِهِ مِلاًءٌ عَيْنَيْهِ مَكَانَ الْعَوَاقِبِ

[ع] « تَجَلَّلَتْهُ بِالرَّأْيِ » أَي عَلَوْتَهُ بِهِ وَكَانَتْ لَهُ مَكَانَ الْجِلَالِ * يَقُولُ : لَمَّا أَظْلَمَ وَجْهَ الرَّأْيِ عَلَيْهِ أَرَيْتَهُ إِيَّاهُ مِلاًءٌ عَيْنَيْهِ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى عَوَاقِبِهِ . [ص] يَعْنِي يَوْمَ بَابِكَ أَيْ أَبُو دُلْفٍ فِيهِ بَلَاءٌ حَسَنًا ، يَقَالُ إِنَّ الْأَفْشِينَ حَسَدَهُ حَتَّى هَمَّ بِقَتْلِهِ لَمَّا قَدَّمَ حَتَّى خَلَصَهُ ابْنُ أَبِي دُوَادَ .

٣٤ بَارَشَقَ إِذْ سَأَلْتُ عَلَيْهِمْ غَمَامَةً

جَرَتْ بِالْعَوَالِي وَالْعِتَاقِ الشَّوَابِ

أَي مَدَدْتَهُ بِالرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ بِهَذَا الْمَكَانِ^(٢) .

٣٥ نَضَوْتُ^(٣) لَهُ رَأْيَيْنِ سَيْفًا وَمُنْصَلًا

وَكُلُّ كَنْجَمٍ فِي الدُّجْنَةِ ثَاقِبٍ

[ع] « نَضَوْتُ » أَي سَلَكْتُ . « وَالْمُنْصَلُ » يُسْتَعْمَلُ فِي السَّيْفِ خَاصَّةً ، وَالنَّصْلُ يُسْتَعْمَلُ فِي السَّيْفِ وَغَيْرِهِ . وَقَوْلُهُ « وَكُلُّ كَنْجَمٍ » أَحْسَنُ مَا يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ أَوْسَأُ بـ « كُلُّ » إِلَى ثَلَاثَةِ ، يَعْنِي : الْمَدْوُوحَ وَرَأْيَهُ وَسَيْفَهُ ، وَذَلِكَ أَحْسَنُ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهِ السَّيْفَ وَالرَّأْيَ دُونَ غَيْرِهِمَا ، لِأَنَّهُ لَوْ ذَهَبَ إِلَى

(١) فِي ظ : رَوَى الصُّوْلُ « تَحْلِيَّتَهُ بِالرَّأْيِ » . وَرَوَى الْخَارِزَمِيُّ « تَخَلَّتْهُ » بِالْخَاءِ الْمَجْمُوعَةِ ، وَقَالَ : أَي خَلَصْتُ إِلَيْهِ بِرَأْيِكَ وَحَزَمْتُكَ حَتَّى أَطَلَعْتَهُ بِهَذَا الرَّأْيِ عَلَى عَاقِبَةِ الْأَمْرِ .

(٢) قَالَ الصُّوْلُ : يَقُولُ هَذِهِ الْغَمَامَةُ إِنَّمَا سَأَلْتَ بِرِمَاحٍ وَغَيْلٍ ضَامِرَةٌ .

(٣) م : « نَصَلْتُ » - ل ، س : « نَصَبْتُ » . وَقَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى : وَيُرْوَى « سَلْتُ » وَإِنَّمَا

قَالَ « نَصَلْتُ » لِقَوْلِهِ مُنْصَلًا .

ذلك لكان الموضع بـ «كِلَا»^(١) أحق منه بـ «كُل» ، على أنه يجوز أن يُوضَعَ «كل» في موضع «كِلَا» .

٣٦ وكنْتَ متى تُهزِّزُ لِخَطْبٍ تُغْشِيهِ^(٢)

ضَرَائِبَ أَمْضَى مِنْ رِقَاقِ الْمَضَارِبِ

[ع] «ضرائب» جمع ضريبة وهي الخليفة، يُقال فلان كريمُ الضريبة أي الشيمة والمدَّهَبُ ، ويجوز أن يكون اشتقاقه من ضربتُ السيفَ إذا طبعته ، ومن كلِّ ما جرى هذا المسجى نداءً هَبَّ والفِضَّةُ لأنه مثل الجبلِة والفِطْرَة .

٣٧ فَذِكْرُكَ فِي قَلْبِ الْخَلِيفَةِ بَعْدَهَا

خَلِيفَتِكَ الْمُقْفَى بِأَعْلَى الْمَرَاتِبِ

«بعدها» أي بعدها هذه الفعلة . و «المُقْفَى» مأخوذ من القَيْفِيَّة وهو الشيء الذي يُخصَّ به الإنسانُ ويؤثَّر به .

(١) عقب ابن المستوفى على كلام التبريزي بقوله : لم يرد أبو تمام إلا رأيه ومنصله ، لأن الظاهر الذي عاد إليه «كل» إنما هو قوله رأياً ومنصلاً ، ويشهد لذلك قوله سيفين ، ولو أنه أراد ما ذكره أبو العلاء لم يقل سيفين ولقال فضوت لهم ثلاثة أسياف ، نفسك ورأيك ومنصلك ، وليس في قوله «فضوت» ما يدل على التثنية سيما مع وجود التثنية في سيفين ، وأوضح هذا المعنى الذي ذكره أبو العلاء على بن العباس الرومي فقال :

أَرَاؤَكُمْ وَوَجْهَكُمْ وَسِيُوفَكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا انْتَضَيْنَ نَجُومُ
مِنْهَا مَصَابِيحُ الدَّجَى وَمَعَالِمُ تَجْلُو الْعَمَى وَالْبَاقِيَاتُ رَجُومُ

ويجوز أن يكون أراد كل منهما فحذف للدلالة عليه وكثيراً ما تحذف الصفة . وقال الجوهري : كل لفظاً واحدة ومعناه جمع . فعل هذا ، تقول كل حضر وكل حضروا ، على اللفظ مرة وعلى المعنى أخرى ، فيجوز أن يكون أبو تمام أعاد على اللفظ في بيته .

(٢) في ظ : ويروى «قريته» .

٣٨ فَإِنْ تَنَسَّ يَذْكُرُ أَوْ يَقُلْ فِيكَ حَاسِدٌ

يَقِلْ قَوْلُهُ أَوْ تَنَأَ دَارٌ تُصَاقِبُ

يقول : إن تَنَسَّ فَعَلْتِكَ يَذْكُرُ ، ويروى « فَإِنْ تَنَسَّ يَذْكُرُ »
يعنى الخليفة ، ويروى « فَإِنْ تَنَسَّ تَذْكُرُ ^(١) » ، [ص] أى إن تَنَسَّ فَعَلْتِكَ
ذُكِرَتْ بِهِ ، وإن سَبَعَكَ حَاسِدٌ ^(٢) فال رَأْيُهُ ، أى بَطَلَ رَأْيُهُ عند الخليفة . وإن
نَأَتْ دَارُ فَأَنْتَ قَرِيبٌ لَفَعْلِكَ . « وَتُصَاقِبُ » تدنو ، يقال بالسَّيْنِ وَالصَّادِ ، وهو
السَّقْبُ وَالصَّقْبُ وَالصَّقْبُ للقرب ، وإذا كان بعد السَّيْنِ قَافٌ أَوْ طَاءٌ أَوْ خَاءٌ أَوْ غَيْنٌ
جَازَ تَحْوِيلُهَا إِلَى الصَّادِ . ويجوز أن يكون أصل المُسَاقِبَةِ مِنَ السَّقْبِ الذى
هو عَمُودٌ مِنْ أَعْمَدَةِ الْخِيَابِ ، وقد حُكِيَ بِالصَّادِ وَالسَّيْنِ ، وهو جَارٌ مَسْجَرَى
مَا ذُكِرَ مِمَّا فِيهِ أَحَدُ الْحُرُوفِ الْأَرْبَعَةِ ، فَكَانَ الرَّجُلَ إِذَا نَزَلَ مُجَاوِرًا
لِلْآخِرِ صَارَ عَمُودُ بَيْتِهِ مُقَابِرًا لِعَمُودِ بَيْتِ الْآخِرِ فَيُقَالُ قَدِ صَاقِبَهُ ، كَمَا يُقَالُ
قَدِ كَاسَرَهُ إِذَا كَانَ كَسِرُ بَيْتِهِ يَبْلَى كَسِرَ بَيْتِ الْآخِرِ .

٣٩ فَأَنْتَ لَدَيْهِ حَاضِرٌ غَيْرُ حَاضِرٍ ^(٣)

جَمِيعًا وَعَنْهُ غَائِبٌ غَيْرُ غَائِبٍ

يقول : أنت خاطرٌ بِيَالِهِ فِي كُلِّ حَالٍ حَضَرْتَ أَوْ غَيْبْتَ ، لِأَنَّ ذِكْرَكَ
فِي قَلْبِهِ .

٤٠ إِلَيْكَ أَرَحْنَا غَازِبَ الشُّعْرِ بَعْدَمَا

تَمَهَّلَ فِي رَوْضِ الْمَعَانِي الْعَجَائِبِ

(ص) يقول : إِلَيْكَ صَرَفْنَا مَا كَانَ تَعَزَّبَ مِنَ الشُّعْرِ بَعْدَ مَا كَانَ تَمَهَّلَ

(١) فضل ابن المستوفى أن تكون الضائرت حائدة على المخاطب كلها .

(٢) « سبعتك حاسد » أى شتمك ، يقال « سبعته يسبته » إذا طعن عليه وعابه وشتمه .

(٣) فى ظ : ويروى : « غير حاضر لديه » - وقال والرواية الأولى أجود . ويروى : « غير

حاضر بذكر » ، وهى رواية د .

أى تتقدّم فى رَوْضِ المعانى لا رَوْضِ النَّبْتِ ، يريد أن الفِكْرَ عمل المعانى العَجِيبَةِ ثم سِيقتُ إليك^(١) .

٤١ غَرَائِبُ لَاقَتْ فى فِنَائِكَ أَنْسَهَا

مِنَ المَجْدِ^(٢) فَهِيَ الآنَ غَيْرُ غَرَائِبِ

يقول : هذه المعانى غرائب لم يفهمها غيرك فلماً بَلَغَتْكَ علمت أنها وَقَعَتْ مَوْقِعَهَا .

٤٢ وَلَوْ كَانَ يَفْنَى الشُّعْرُ أَفْنَاهُ مَا قَرَّتْ

حَيَاضُكَ مِنْهُ فى العُصُورِ^(٣) الذَّوَاهِبِ

[ع] « ما قَرَّتْ حَيَاضُكَ » ما جَمَعَتْ يُقالُ قَرَى المَاءَ فى الحَوْضِ يَتَقَرَّبُ إِذَا جَمَعَهُ . والمعنى : أنك رجلٌ مَلِكٌ شَرِيفٌ الآبَاءِ ، قد مُدِّحٌ أَجْدَادُكَ بِشَعْرٍ كَثِيرٍ ، فلو كان الشُّعْرُ يَفْنَى لَفَنَى مِنْ أَجْلِ ما مُدِّحْتُمْ بِهِ فى الدَّهْرِ القَدِيمِ ، فهذا هو الوَجْهَ ، وقيل : إنما أراد أن أبا دُلْفٍ كان شاعراً ، وقد يَحْتَمِلُ هذا ، ولكنَّ الأوَّلَ أَجود وأبلى فى المَدِّحِ .

٤٣ وَلَكِنَّهُ صَوَّبُ العُقُولِ إِذَا انجَلَّتْ

سَحَابِ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَابِ^(٤)

- (١) زاد الصولى فى شرحه قوله : وقد مثل هذا التمثيل النابغة ، إلا أنه فى وصف الهَمِّ ، فقال :
 وصدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب
 أى أن الليل يريح عازب الهَمِّ إلى الصدر ، لأن الإنسان بالنهار يشتغل بما يفتح عينه عليه فيحذف عنه بعض التخفيف ، فإذا جاء الليل خلا بكده ، وقد أوضح هذا المعنى الطرمح ولم يأت به غيره ، فقال :
 ألا أيها الليل الطويل ألا اصبحن بهم وما الإصباح فيك بأروح
 على أن للعينين فى الصبح راحة بطرحهما طرفيها كل مطرح
- (٢) س : « من اليوم » . (٣) ظ : « فى القصور » .
- (٤) جاء فى ظ : قال الخارزنجى : يقول لو كان للشعر فناء لأنفاه كثرة عطائك قبل وبعد ، ولكنه لما صبت عقول الشعراء وأذهانهم ، فإذا انكشفت سحائب من ذلك أعقبها سحائب من الشعر فلا فناء له . وقال الصولى فى شرحه : هو من قول أوس بن حجر :

٤٤ أَقُولُ لِصَحَابِي هُوَ الْقَاسِمُ الَّذِي
 بِهِ شَرَحَ الْجُودُ التَّبَاسَ الْمَذَاهِبِ^(١)
 ٤٥ وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَرُدَّ رَكَائِبِي^(٢)
 مَوَاهِبُهُ بَحْرًا تُرَجِّي مَوَاهِبِي

= أقول بما صبت على غمامتي وجهدي في حبل العشيبة أحطب
 وقد ألم بقول الأخطل :

• فلولا بفاة الشعر أنفذه البشر •

- وروايته في ظ « ولولا تغادى القول » - وقال ابن المستوفى بعد أن أورد كلام الصولي : والذي
 في شعر أوس :

أقول بما صبت على عمائتي ودهري في حبل العشيبة أحطب
 ويروى « صحابي » و « غمامتي » ، وفي شعره : « عمائته » همه وشجنه ، يقول أنا معهم وأحطب
 في حبلهم ، وقبله :

أقول فأما المنكرات فأتق وأما الشذا عنى الملم فأشذب

ثم قال ابن المستوفى : ولم أر ما نسبه إلى الأخطل في ديوانه .

(١) هـ س : « المواهب » .

(٢) م ، ل ، س ، ظ ، د : « وإني لأرجو عاجلا أن تردني » . وقال الخارزنجي في ظ :

ويروى :

« وإني لأرجو أن ترد مواهبي ركائبه »

وقال يمدح داود بن محمد^(١) :

- ١ - غنى فشاقتك طائر غريد
لما ترنم والغصون تميد
٢ - ساق على ساق دعا قمرية
فدعت تقاسمه الهوى وتصيد^(٢)
٣ - إلفان في ظل الغصون تالفا
والتف بينهما هوى معقود
٤ - يتطعمان بريق هذا هذه
مجعا وذاك بريق تلك معيد

في الثاني من الكامل والقافية : متواتر .

٤ - «مجعا» : نصب على المصدر ، أى يتمججان مجعا ، أى كل واحد منهما يتطعم ريق صاحبه .

- ٥ - يا طائران^(٣) تمتعا هنيئما
وعما الصباح فإننى مجهود
٦ - آه لوقع البين يابن محمد
بين المحب على المحب شديد
٧ - أبكى وقد سمت البروق مضيئة
من كل أقطار السماء رعود
٨ - واهتز ريعان الشبَاب فاشرقت
لتهلل الشجر القرى والبيد
٨ - أشرقت : أضاءت ، لأنها نورت ، يصف الربيع .

(١) لم ترد هذه القصيدة فيما بين أيدينا من نسخ الصولى ، وكذلك لم ترد فى نسخة نس ، وإنما ذكر ابن المستوفى بعض أبياتها ، ناقلا عن الصولى وعن غيره .

(٢) ظ : « ساق » يعنى ذكر الحمام ، « على ساق » على ساق شجر ، أى يحب كما يحبها ، « وتصيد ، أى تصيده » .

(٣) ظ : ناداهما معرفتين لإقباله عليهما .

٩ - وَمَضَتْ طَوَاوِيْسُ الْعِرَاقِ فَأَشْرَقَتْ

أَذْنَابُ مُشْرِقَةٍ وَهَنْ حُفُودُ

٩- يقال : مَضَى يفعل كذا ، أى صار يفعلهُ ، وجعلَ يفعلهُ .

أى صارت طواويس العراق تحجُلُ بأذنانها ، كأنها تخدم الناظرين إليها و « حُفُودُ » : جمع حافد ، وهو الخادم . والتقدير : أشرقَت أذنانُ طواويس مُشْرِقَةٍ (١) .

١٠ - يَرْفُلْنَ أَمْثَالَ الْعَذَارَى طُوفًا حَوْلَ الدَّوَارِ وَقَدْ تَدَانَى الْعَيْدُ

١٠- تفسير لما قبله . و « طُوفٌ » : جمع طائفة ، و « دَوَّارٌ » صنم

كان للعرب معروف (٢) .

١١ - إِنِّي سَأَنْثُرُ مِنْ لِسَانِي لَوْلُوًا يَرِدُ الْعِرَاقَ نِظَامُهُ مَعْقُودٌ

١١- أى يصير إلى حيث العلوم والأفاضل ، أو لأنَّ المدوح بها .

١٢ - حَتَّى يَحُلَّ مِنَ الْمُهَلَّبِ مَنْزِلًا لِلْمَجْدِ فِي غُرْفَاتِهِ تَشْيِيدُ

١٣ - رَفَعَ الْخِلَافَةَ رَايَةً فَتَقَاصَرَتْ عَنْهَا الرِّجَالُ وَحَازَهَا دَاوُدُ

١٤ - السَّيِّدُ الْعَتَكِيُّ غَيْرَ مُدَافِعٍ إِذْ لَيْسَ سُوْدُدُ سَيِّدٍ وَوَجُودُ

١٥ - نَقَرْتُ بِاسْمِكَ فِي الظَّلَامِ مُسَدَّرًا دَاوُدُ إِنَّكَ فِي الْفَعَالِ حَمِيدُ

١٥- أى نَقَرْتُ عن المطلوبِ مِنَ النَّدى بِاسْمِكَ ، أى بحثتُ عنه به ،

أى بِأَنَّ ذَكَرْتَ اسْمَكَ . و « مُسَدَّرًا » يَحْتَمَلُ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا : أَنْ يَكُونَ

مِنْ اسْمَدَرٍ طَرَفُهُ ، أَى أَظْلَمَ فَلَمْ يُبْصِرْ ، لِإِظْلَامِ الْهَوَاءِ فِي عَيْنِهِ ، فَيَكُونُ

(١) ظ : في النسخة العجمية : « وقضت » ثلاثت ، جملة فعلا مستقلا عن ومض البرق إذا

ظهر ونفى .

(٢) قال ابن المستوفى : قال الصولي : « الدوار » : صنم ، يفتح الدال وضمها إذا خفت ،

وإذا شددت فمضمومة لا غير ، وهو حجر ، كان يؤخذ من الحرم ، ويطاف به .

معناه : نَقَرْتُ بِاسْمِكَ وَأَنَا فِي حَيْرَةٍ لَا أَبْصِرُ شَيْئاً ، أَي لَا أَدْرِي مِنْ أَقْصَدِهِ
فَأَنْتَجِمُهُ فَذَكَرْتُكَ . وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُعْرَباً مِنْ (سَهْ دَرَهَ وَجِهَارَ دَرَهَ)
وَهُوَ لَعِبٌ يُلْعَبُ بِهِ . أَي لَمَّا انْسَدَّتْ الْأَبْوَابُ كُلُّهَا عَلَيَّ ، اسْتَخْرَجْتُ اسْمَكَ
بِهَذَا اللَّعْبِ ، لِأَنَّ اللَّاعِبَ بِهِ إِذَا أَرَادَ اسْتِخْرَاجَ اسْمِهِ بِهِ وَهُوَ فِي حَيْرَةٍ ، ثُمَّ
انْسَدَّتْ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ ، أَلْجَأَهُ هَذَا اللَّعْبُ إِلَى وَجْهِ مُعَيَّنٍ (١) .

١٦ - قَدْ قِيلَ : أَيَّنَ تُرِيدُ ، قُلْتُ : أَنَا النَّدَى

وَأَبَا سُلَيْمَانَ الْأَعْرَبِيَّ أُرِيدُ

١٧ - فَافْتَحَ بِجُودِكَ قُفْلَ دَهْرِي إِنَّهُ قُفْلٌ وَجُودٌ بِدَيْكَ لِي إِقْلِيدُ

١٧ - أَي أُمُورِي مَغْلَقَةٌ عَلَيَّ ، وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيَّ فَتَحْهَا .

١٨ - فَالْجُودُ حَيٌّ مَا حَيَّيْتَ وَإِنْ تَمَّتْ غَاظَتْ مَنَاهِلَهُ وَمَاتَ الْجُودُ

(١) «در» بالفارسية معناها : الباب . ولعل الهاء في «دره» كما هي بالأصل محرفة عن سكون .

قافية الرءاء

وقال يرثي مُحَمَّدَ بنَ حُمَيْدِ الطائِي :

١ كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الْأَمْرُ
فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاوَهَا عُدْرُ

في الأول من الطويل والقافية متواتر .

١ - قوله « فليجل » يجوز بكسر اللام وفتحها ، والكسر أجود .

(١) ورد في الأصل بعد هذا البيت بيت آخر وهو :

حرام لعمرى أن يحف لها قطر وأن تطعم التغميض ما بقى الدهر

وفي بعض النسخ مثل ل ، ظ جعله ابتداء القصيدة ، وقد آثرت عدم إثباته في الأصل هنا إذ لا يوجد في بعض الأصول مثل س ، وأحسبه في أغلب الظن موضوع ، ذلك أنه عيب على أبي تمام الابتداء بقوله: « كذا فليجل الخطب ... » وطعن عليه ابن عمار في الرسالة التي كتبها عن أخطائه وسرقاته ، قال : افتتح قوله بأبين خطأ وأفحشه من إشارته إلى معلوم واستعطافه غير معلوم ، ثم حضض على البكاء قبل إخباره عن الحادث الذي يلي ، وقد وقفه بعض الناس على خطأه وزلته فقال له كان يجب أن تأتي بعظام الرجل الذي بكيته في وعاء فتجعله بين يديك ثم تقصص على الناس خبره ، فإذا أتيت على آخره أوامات إليه ثم قلت : كذا فليجل الخطب . . . ! وقد رد الصولي عيب من عابه في رسالته (أخبار أبي تمام ص ٢٦٥) وما جاء في كلام الصولي يرجح بل يؤكد انتحال البيت : حرام لعمرى . . . قال الصولي : حدثني أحمد بن موسى ، قال أخبرني أبو الغمر الأنصاري عن عمرو بن أبي قطينة قال رأيت أبا تمام في النوم فقلت له لم ابتدأت بقولك : كذا فليجل الخطب . . . فقال لي : ترك الناس بيتاً قبل هذا ، إنما قلت :

حرام لعين أن يحف لها شَفْرُ

وأن تطعم التغميض ما امتنع الدهر

كذ فليجل الخطب . . . إلخ .

فظاهر أن هذا أن البيت مدخول للرد على من عاب على أبي تمام مثل هذا الابتداء الذي لم يألفه القدماء .

- ٢ تُوفِّيتُ الْأَمَالَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
وَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ
٣ وما كَانَ إِلَّا مَالٌ مَنْ قَلَّ مَالُهُ
وَذُخْرًا لِيَمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذُخْرُ
٤ وما كَانَ يَدْرِي مُجْتَدِي جُودِ كَفِّهِ
إِذَا مَا اسْتَهَلَّتْ أَنَّهُ خُلِقَ الْعُسْرُ
٥ أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عَطَلَتْ لَهُ
فَجَاجُ سَبِيلِ اللَّهِ وَانْشَغَرَ الثَّغْرُ
٦ فَتَى كُلَّمَا فَاضَتْ عَيْونُ قَبِيلَةٍ
دَمًا ضَحِكَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالذُّكْرُ
٧ فَتَى مَاتَ بَيْنَ الضَّرْبِ وَالطَّعْنِ مِيتَةً
تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذْ فَاتَهُ النَّصْرُ
٨ وما مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ
مِنَ الضَّرْبِ وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا السُّمْرُ
٩ وَقَدْ كَانَ قَوْتُ الْمَوْتِ مَهْلًا فَرَدَّهُ
إِلَيْهِ الْحِفَاطُ الْمَرُّ وَالخُلُقُ الْوَعْرُ

٩- [ع] هذا مثل قول الآخر :

(١) س : « من بلا يسر كفه » .

(٢) ذكر ابن المستوفى ما قاله ابن عمار في نقد هذا البيت . قال ابن عمار : وليس في كلام العرب

« انشغر » إنما يقولون « إنغر » ولو كان مصيباً في اللفظ لكان قد أبعد التشبيه وخرج عن المعنى .

ولو أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَعِزَّةً ۖ وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمًا
 وَجَعَلَ لَهُ خُلُقًا وَعِزًّا عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَلَيْسَ يُحْمَدُ الرَّجُلُ بِوَعَارَةِ الْخُلُقِ إِلَّا عِنْدَ
 الْمُضَارَّةِ وَالْمُشَارَّةِ كَمَا قَالَ الْمَازِنِيُّ :

تُعَاتِبُنِي فِيمَا تَرَى مِنْ شَرَّاسَتِي وَشِدَّةِ نَفْسِي أَمْ سَعْدٍ وَمَا تَدْرِي
 فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرِيمَ وَإِنْ حَلَا لِيُوجَدُ أَحْيَانًا أَمْرًا مِنَ الصَّبْرِ
 وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

وَكَالسَّيْفِ إِنْ لَا يَنْتَهَ لِأَنَّ مَتْنَهُ وَحَدَاهُ إِنْ خَاشَتْنَتَهُ خَشِينَانِ

١٠ وَنَفْسٌ تَعَافُ الْعَارَ حَتَّى كَانَهُ

هُوَ الْكُفْرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَوْ دُونَهُ الْكُفْرُ

١١ فَأَثَبَتْ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ

وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَخْمِصِكَ الْحَشْرُ

١٢ غَدَا غَدَاةً وَالْحَمْدُ نَسِجُ رِدَائِهِ

فَلَمْ يَنْصَرِفْ إِلَّا وَأَكْفَانُهُ الْأَجْرُ

١٣ تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا فَمَا أَتَى

لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ

١٤ كَأَنَّ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ

نُجُومُ سَمَاءِ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ^٢

(١) س : « فا دجا » .

(٢) قال الصولي : قد عاب عليه هذا من لا يدري كيف يتكلم العرب ولا فهم معنى قط ، وقد

ذكرت الاحتجاج له في الرسالة التي فيها أخباره . (انظر أخبار أبي تمام للصولي ص ١٢٥ وما بعدها) .

- ١٥ يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزَّى بِهِ الْعَلِيَّ
وَيَبْكِي عَلَيْهِ الْجُودُ وَالْبَأْسُ وَالشُّعْرُ
١٦ وَأَنْتَى لَهُمْ صَبْرٌ عَلَيْهِ وَقَدْ مَضَى
إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى اسْتُشْهِدَا هُوَ وَالصَّبْرُ!
١٧ فَتَى كَانَ عَذْبَ الرُّوحِ لَا مِنْ غَضَاضَةٍ
وَلَكِنْ كَبْرًا أَنْ يُقَالَ ٢ بِهِ كَبْرُ!

١٧- [ع] نصب « كَبْرًا » على أحد وجهين : إما أن يكون نصبه
بـ « لكن » وجعل اسمها نكرة والخبر محذوفاً ، وإما أن يكون أضمر في « لكن »
كما يضم في « أن » و « لكن » و « كأن » و « ليت » ، ونصب « كَبْرًا »
على أنه مفعول له ، كأنه قال فتى تعذب روحه لا من غضاضة ولكنها تعذب
لتكبره عن الكبر ، قال عدي بن زيد فأضمر في ليت :

فليت دفعت الهم عنى ساعة فتمسى على خيلى ناعم بال

- ١٨ فَتَى سَلَبْتَهُ الْخَيْلُ وَهُوَ حِمَى لَهَا ٣
وَبَزَّتْهُ نَارُ الْحَرْبِ وَهُوَ لَهَا جَمْرُ

١٨- (ع) : « الخيل وهو جمالها » . (س) « حِمَى لها » ، و « جمالها »
أيضاً . إذا رويت « سلبته » بضم السين على ما لم يسم فاعله فيجب أن
يُروى « وبزته » بضم الباء لتكون الجملة الثانية مثل الأولى (٤) ، وإن روى

(١) ظ : « وقد مشى » .

(٢) ظ : ويروى « أن يكون به كبر » .

(٣) جاء في ظ : وروى الخارزنجي : « وهو ثقافها » .

(٤) هي رواية س ، بالبناء للمجهول .

«سَلْبَتَهُ» و «بَزَّتَهُ» بالفتح فهو معنى صحيح ، وإنما يُريد أن بعض الخيل الذى سَلَبَهُ ، وهذا كما تقول قتلَ النَّاسُ فلاناً وكان جمالاً لهم وإنما قتله واحدٌ منهم .

١٩ وَقَدْ كَانَتِ الْبَيْضُ الْمَائِثِرُ فِي الْوَعْيِ
بَوَاتِرَ فَهِيَ الْآنَ مِنْ بَعْدِهِ بُتْرٌ

١٩- ويُروى «البييض البواتر» و «البييض المباتير» [ع] و «المائير» جمع مأثور وهو الذى فيه الأثر وهو الفرند، «وبواتر» أى قواطع ، و «الْبُتْرُ» التى لا أذنبَ لها فى الأصل ، وإنما أراد هاهنا انقطاعَ البقيةِ وقلةَ الخيرِ ، ولذلك قيل لِلعَيْرِ والعَبْدِ الأَبْتَرانِ ، وإن ذهبَ ذاهبٌ إلى أنه جعلَ هذا المرثى ابناً للبيض البواتر فلَمَّا هلكَ صارتْ بُتْرًا أى لا ولدَ لها من قوله تعالى : «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ» أى الذى يَنْقُضُ ذِكْرَهُ ولا يَبْقَى له ثناءً فذلك مذهب (١).

٢٠ أَمِنْ بَعْدِ طَيِّ الْحَادِثَاتِ مُحَمَّدًا
يَكُونُ لِأَثْوَابِ النَّدى أَبَدًا نَشْرُ ؟ !

٢١ إِذَا شَجَرَاتُ العُرْفِ جُدَّتْ أَصُولُهَا
فَفِي أَيِّ فَرْعٍ يُوجَدُ الوَرَقُ النَّضْرُ ؟

٢٢ لَسِنٌ أَبْغَضَ الدَّهْرُ الخَوْنُ لِفَقْدِهِ
لَعَهْدِي بِهِ مِمَّنْ يُحَبُّ لَهُ الدَّهْرُ

(١) رواية الصولى كما جاء فى م : «البييض المائير» وقال : يقول كانت السيف التى ماثرها فى الحرب بواتر ، أى قواطع ، فصارت بعده بترًا أى لا تقطع ، يريد أنه ليس أحد يفعل فعله .